رأي القدس

الدعم المالي الخليجي للفلسطينيين

■ اكدت السلطات السعودية عزمها دفع المساعدات المتوجبة عليها تجاه السلطة الفلسطينية بموجب مقررات الجامعة العربية، والبالغة حوالي 93 مليون دولار، واعلنت عن قرارها هذا اثناء لقاء جمع الدكتور محمود الزهار وزير الخارجية الفلسطيني ونظيره السعودي الأمير سعود الفيصل، ولكن السؤال هو حول كيفية ايصال هذه المبالغ الى خزينة وزارة المالية الفلسطينية الخاوية على عروشها؟

فيوم امس، وعندما اعلنت دولة قطر، تخصيص مبلغ مقداره خمسون مليون دولار لدعم السلطة، خرج علينا المتحدث باسم الخارجية الامريكية محتجاً، ومطالباً بتوضيحات من الحكومة القطرية حول الجهات التي ستتسلم هذا المبلغ، ملمحاً الى معارضته ارسال اي فلس لحكومة «حماس».

الادارة الامريكية قررت وقف جميع مساعداتها المالية للسلطة الفلسطينية، وتبعتها في الاتجاه نفسه دول الاتحاد الاوروبي، في اطار مساعيها لافشال حكومة حركة المقاومة الاسلامية «حماس» التي تشكلت بعد فوز الحركة في الانتخابات التشريعية الاخيرة. ويبدو انها تريد من الدول العربية ان تحذو حذوها في هذا الاطار.

الدول الخليجية التي سارعت الى مساعدة الشعب الفلسطيني، ونخص بالذكر السعودية وقطر والامارات العربية المتحدة والكويت، تستحق الثناء، لانها لم ترضخ حتى الآن للضغوط الامريكية، وقررت ان تقف الى جانب شعب صامد يقاتل من أجل الحفاظ على المقدسات العربية والاسلامية في فلسطين.

والمأمول ان لا يستمر هذا الصمود ويتصلب فقط، وانما ان تعمل هذه الدول على كسر الحصار المالي المفروض على الشعب الفلسطيني، وايجاد الوسائل والطرق اللازمة لايصال هذه المبالغ الى الخزينة الرسمية الفلسطينية، والتأكيد في الوقت نفسه على دعمها للخيار الديمقراطي للشعب الفلسطيني.

فمن الواضح ان الادارة الامريكية، ومن خلال سيطرتها على المؤسسات المالية العالمية، تمارس حملة ارهاب وترهيب ضد المصارف العربية، التي كانت دائما قناة توصيل الاموال الى السلطة الفلسطينية.

فالبنك العربي على سبيل المثال اضطر الى اغلاق حساب فتحته الجامعة العربية في القاهرة لجمع التبرعات للشعب الفلسطيني بعد وصول تهديدات من جهات امريكية بوضعه على القائمة السوداء ومقاضاته بتهمة تمويل الارهاب، والمصرف اكتوى بنار حملات مماثلة في نيويورك، عندما جرت مقاضاته بالتهمة نفسها من قبل بعض الجهات المحسوبة على جهات موالية لاسرائيل، وخسر من جراء ذلك عشرات الملايين من الدولارات واضطرت ادارته الى اغلاق فرع نيويورك تجنباً لملاحقات قضائية اخرى.

الحكومات العربية تملك اوراق ضغط عديدة، والادارة الامريكية الحالية التي تستعد لمواجهة عسكرية ضد ايران بسبب مفاعلها النووي بحاجة الى هذه الحكومات ودعمها ان لم يكن حيادها، ولذلك هي مؤهلة للتصدي لحملة التجويع الامريكية هذه ضد الشعب الفلسطيني.

لا نريد من هذه الحكومات ان تكتفي فقط باعلان دعمها المالي وحجمه، وانما بالعمل على ايصاله في اسرع وقت ممكن ايضا.

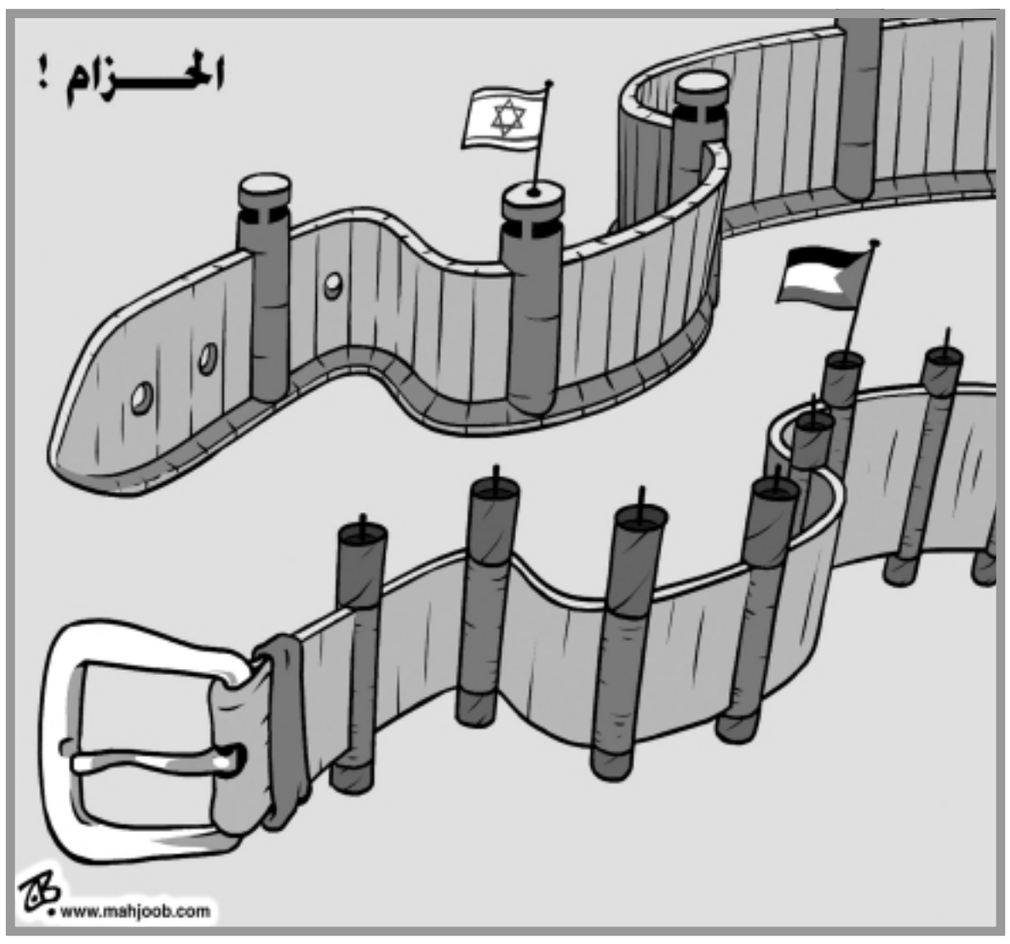

العراق: الاصطياد في البحر الميت

د. سطام الكعود *

■ في خضم تشابك الأحداث في وضع العراق المحتم وتشعب القنوات السياسية في دهاليز الأفكار والضمائر وتباين الآراء وتقاطع الغايات والانهزام الدامي والبطيء لجحافل المحتلين الأمريكان وأعوانهم في داخل العراق وخارجه من المسميات التي تدعي انتمائها حينا إلى الإسلام وحينا آخر إلى العروبة ثم إلى ثرى العراق الطيب، نجد أن المارد الأمريكي يتقدم كل يوم ويترنح تحت ضربات المقاومة الإسلامية العربية العراقية أو كما يحلو أن تطلق على نفسها المقاومة الوطنية والقومية والإسلامية.

تخبط الولايات المتحدة الأمريكية بين التصريحات المتناقضة للرئيس بوش والظهور لرئيس وزرائه (رامسفيلد) الذي يظهر على سماء وجهه الإحباط والانهزام والجريمة. بدأت أدوات أمريكا تتحرك في الخفاء والعلن وتتخبط في أفكارها المريضة بدأت تتصل بهذا وذاك من الذين لا حول لهم ولا قوة لا على أنفسهم ولا على قومهم من قبائل العراق التي حسمت أمرها بالانتماء إلى المقاومة والانتخاء للوطن. يكاد المطلع أن يشعر بالمرارة في فم هذا العملاق المنهزم رغم ادعائه النصر والسيطرة والأمن الموهوم وهو يسوق أكاذيبه لا إلى شعبنا الذي هب ليطرده غير مأسوف عليه بل على شعبه الذي يشعر بالخجل الشديد والأسف لهذا التمثيل المخزي له من قبل ساسته وجيشه وهو يظن انه يمثل لا القطب الواحد بل ما يسمى براعي الديمقراطية والإنسانية وها هي الولايات المتحدة الأمريكية أكثر المنحرفين والشاذين والمنتهكين لحقوق الإنسانية والإنسان.

توهمت أمريكا حين غزت العراق بأنها بما تمتلك من قوة وبطش مدعومة بآلة عسكرية رهيبة وتكنولوجيا متطورة وجيش من المصطادين المتسكعين العاطلين تستطيع احتلال العراق وخدعها بسهولة الامر وامكانية النجاح واستغلالها تناقضات العالم وتراخي الوضع العربي «من انها ستبسط نفوذها وبشكل ميسر وتهيمن على الارض والانسان، لكنها اصطدمت بعد ذلك لتفيق على قوة مقاومة لم تحسب حسابها او أوهام المروجين للغزو والذين عبروا معها على جسور الرغبة المهووسة بالسلطة والجاه والمال.. وطبلوا وزيفوا.. لذلك وزوروا الوثائق والمعلومات للالتفاف على الحقيقة.. حتى اذا ما انجلى الصباح.. أتضح ان ما كانوا يخططون له ويبيتون تحت عباءة الظلام.. لم يكن غير بحث عن حبة دخن في ليل عاصف ممطر.. لكن ليس من السهل على قوة غاشمة متغطرسة ان تعترف انها خدعت وهزمت لان التاريخ لا يحمي المغفلين ولا يرحم الباغين.. فشاءت البحث عن بدائل تخفف بها عن نفسها تلك الاقامة المفاجئة المذعورة من كابوس العراق الخانق.. فحركت اذنابها الذين حركوا بدورهم اذنابهم ـ لتهدئة اللعب ومحاولة امتصاص النقمة.

والمفارقة هنا هي ان يكون للذنب الذي لا يهش ولا ينش ولا ينيل مراداً ذنباً يحاول تعويض الهش والنش المخادع به ـ مستخدمين اسلوب الاستعمار القديم ـ وهو ان تجمع جياع وحانق الناس تحت سيطرة رجل قوي متخم.. وهذا «ما يتنافى وطروحات العولمة التي تبشر بها امريكا والحرية الزائفة.. ومن المخجل ان تحاول التفكير بطريقة اساطير النبلاء والاقطاع المنقرض» فأوجدت حلقة من المنتفخين بأموال هذا الشعب الذي يدفع ضريبة القهر مسمرا بين فكين ـ امريكا والعملاء.. من الذين يتشدقون بعبارات سياسية هنا وهناك وبذلت لهم الاموال وفتحت لهم الخزائن لتسليط الهالات الدعائية واضواء الاعلام.. ليقولوا ما بدا لامريكا لا للشعب.. محاولين تخدير الجماهير بعبارات طنانة مكافحة.. توحي للساذج البسيط ان الدنيا بخير.. ما دامت هذه الثلة تمثل ضمير الشعب وهمها سعادته وأمنه.. وأي ممثلية لا تنبع من نبض الشعب والشارع؟.

ومرة اخرى تتعثر امريكا في مسارها المترنح وتضيف فشلاً الى ملفات فشلها في العالم.. فهؤلاء لا بد لهم من قاعدة ومن مؤيدين ومروجين وسماسرة ومباركين ومصفقين.. وهؤلاء بدورهم يعون من انهم مجرد متاريس لحماية مكاسب واطماع آنية أنانية كظاهرة مؤقتة لا بد لها من زوال.. ناهيك عما يدور في افكارهم من خطر داهم محدق يتربص لهم الدوائر ويتحين الفرصة.. فهم صوت الباطل.. أو على الاقل هم من السائرين في ركبه ويحمون مصالحه.. ويذكون فيه روح الديمومة.. ولولاهم لفشل مشروعه.. يتلاعبون بمصير هذا الشعب ويعبثون بمقدراته.. وما يزيد الحالة فوضى وتفاقماً.. انهم لا يمتلكون رؤى وافكاراً مقنعة وان حاولوا «فليس من ماجن يدعو للتقوى» وان أدعى..! وهم سحاب منقشع ـ وذلك سوغ لهم بدل ان يحاولوا التقرب والتناغم ودغدغة هواجس الشعب الى السرقة والإثراء بكل ما تطاله ايديهم وتحويله الى ما خف حمله وغلا ثمنه ثم الى ايداعه في مأمن بعيد.. وهم يمسكون بأطراف جلابيبهم متهيئين للفرار المحتم والمرتقب.

ولكي ننصف هناك ثلة لم توهم.. بل توهمت ان التقرب من الامريكان ومغازلتهم حماية لامتيازات موروثة أو مستحدثة والحفاظ عليها ومحاولة الكسب الذي يضفون عليه صبغة المشروعية بتبريرات انما هي واهية.. وهي ذات الديمومة القديمة.. ولهؤلاء جذور قديمة وباع اجتماعي ما زالوا يحلمون به حفاظاً على المسميات واللافتات والصدارات التي خولتهم قديماً التحدث باسم الناس وتمثيلهم في المحافل الاجتماعية والعشائرية.. اما الساعة فهناك فرق.. فلا هوية ولا انتماء الا للوطن.. فلا تفاعل ولا التقاء الا عند الحق المبين كما أراده الله.. هؤلاء علموا انهم لا يمكنهم التواصل مع الحياة الا بالحفاظ على الامتيازات ومنها مترف العيش والوجاهة التي عصبها المال و«المال عند العروس، والعروس تريد أذلاء وخونة وجواسيس لأنها أمريكا».. وذلك كلفهم الابتعاد عن قراهم، وحاولوا التواصل مع قواعدهم القديمة على نفوذهم وامتدادهم من خلال بعض الوجوه التي لا تأنف العيش على الفتات وانكشفت اللعبة والتحق هؤلاء بهم الى مناطق الاضواء الاكثر أمناً.. بعيداً عن الدوائر الملتهبة التي حاولوا ايهام الامريكان انهم ما زالوا محترمين بها ويستطيعون اعادة السيطرة عليها متى شاؤوا فتحولوا من سادة الى عبيد ومن شيوخ الى ذيول.. وقبضوا بذلك الثمن ربما.. واخر لا يزال ينتظر.. فأي ممثل لمقاومة لا يتواجد بينها أو على الاقل ضمن الدائرة الكبيرة ـ كيف السبيل وهؤلاء لا يستطيعون التحرك خارج مربع الاضواء الخضر.

وهكذا تتوالد المواسم ـ عبر ما يسمى بالكتل السياسية والاحزاب والحركات التي نضجت بالتسخين السريع عبر «المايكرويف» وقدمت كطبخة جاهزة.. فمن مجلس مشوه الى دستور مثير للشك والجدل مفروض اعرج ـ الى انتخابات مزورة.. الى تخطيط يميناً وشمالاً.. بحثاً عن مخرج في صحراء الدوار.. ففي كل يوم تحاول امريكا تجربة طعم جديد.. ثم سنارة جديدة.. ولكن دون صيد.. فمتى تدرك امريكا انها تصطاد في البحر الميت؟

* كاتب وسياسي من العراق

ليس دفاعا عن الشيعة... ولكن ردا على الرئيس مبارك

د. سعيد الشهابي *

■ من المؤاخذات المهمة على الغربيين محاولاتهم ربط الاسلام بالارهاب بسبب ارتكاب بعض المسلمين المتطرفين اعمالا ارهابية. هذه المؤاخذة يطرحها السياسيون كما يطرحها علماء الدين، وينبري لها ايضا اعلاميون وسياسيون غربيون، لان المنطق السوي يمنع تعميم ما تمارسه مجموعة صغيرة على ممارسات أكثر من مليار انسان، فهو أمر غير منطقي وليس مقبولا. فليس هناك من ينكر ان بعض المسلمين المتطرفين يمارسون اعمالا ارهابية، فتلك حقيقة تؤكدها الوقائع اليومية، ولكن ما ليس مقبولا اعتبار المسلمين مرتبطين بالارهاب، أي تعميم افعال البعض على الكل، وهو أمر يرفضه المناطقة وعلماء الكلام. فلم يتحدث السياسيون البريطانيون عن «ارهاب ايرلندي» أو «ارهاب كاثوليكي» خلال فترة المواجهات العسكرية بين الجيش الجمهوري الايرلندي والقوات البريطانية. ويشعر الرأي العام العربي والاسلامي بامتعاض شديد عندما يستعمل الاعلام الغربي مصطلحات من نوع «الارهاب الاسلامي» او «الارهابيون العرب». وسعت الجهات المعنية في بريطانيا، ومنها الشرطة، قبل بضع سنوات للتوصل الى تسميات واوصاف للذين يمارسون الارهاب لا تتضمن اسلوب التعميم، ولا تجرح مشاعر الاغلبية من المسلمين الذين يمارسون حياتهم اليومية بعيدا عن التطرف والارهاب، واتفق بعضهم على ربط الارهاب بالجهة المحددة التي تمارسه، وليس بالدين او العرق الذي ينتمي اليه الارهابيون.

وعلى هذا الاساس لم يكن الرئيس حسني مبارك موفقا عندما أطلق تصريحاته الخطيرة في مقابلته مع قناة «العربية» متهما المسلمين الشيعة فيها بأنهم أكثر ولاء لايران من اوطانهم. الرئيس مبارك ليس شخصا عاديا، بل رئيس أكبر دولة عربية ولكلامه أبعاد سياسية وأمنية. ولو ان مسؤولا مصريا صرح على شاشة التلفزيون ان اليهود المصريين (وعددهم لا يصل المئة شخص) أكثر ولاء لـ«اسرائيل» من مصر لما بقي في منصبه يوما واحدا. ولو قال آخر بان اقباط مصر أكثر ولاء للفاتيكان او للكنيسة الشرقية في اليونان من مصر لحدثت ضجة كبيرة وتواصلت أصداؤها في العالم. ولذلك استغرب الكثيرون ادعاءات الرئيس المصري لأسباب عديدة. فهو قد مارس اسلوب تعميم غير علمي وغير موضوعي، معتبرا عموم الشيعة ذوي ولاء للجمهورية الاسلامية الايرانية يفوق ولاءهم لاوطانهم، ولم يتحدث عن بعضهم. وثانيا انه برر ما يمارسه الارهابيون المتطرفون ضد اشخاص المسلمين الشيعة ومساجدهم ومؤسساتهم في العراق، ثالثا انه أصبح يتحدث بمنطق يهدف للتمزيق والتفتيت ولا يساهم في التوحيد، وهو أمر لا ينسجم مع رئيس دولة يفترض ان يبحث دائما عن وسائل التقريب والتفاهم والحوار بدلا من التشاحن والبغضاء. رابعا ان الرئيس مبارك بتصريحاته يؤسس لثقافة استعداء بعيدة عن اللباقة والدبلوماسية، وهو امر لا ينسجم مع موقعه وما هو متوقع منه.

لقد كان امرا مزعجا ان يصدر عن رئيس مصر تصريحات مثيرة للجدل خصوصا في ما يتعلق بالانتماء المذهبي. فمصر، بشكل خاص، أبعد ما تكون عن روح التعصب والطائفية، وهذا ما يشهد به تاريخها. فقد حكمت من قبل الفاطميين في القرنين التاسع والعاشر الميلادي، وقام احد قادتهم، جوهر الصقلي، في العام 969 ببناء مدينة القاهرة لتكون عاصمة الخلافة الفاطمية المحسوبة على الشيعة. وقاموا بتشييد الجامع الازهر، ذلك الصرح الاسلامي العملاق الذي يعتبر اليوم المرجعية الدينية لقطاع واسع من المسلمين السنة في العالم، بموازاة مدينتي قم الايرانية والنجف العراقية لعموم المسلمين الشيعة. ومصر التي تشرب أهلها بحب آل بيت رسول الله، لم تتراجع عن موقف الاعتدال والتقريب بين المذاهب الاسلامية حتى عهد قريب. ففي الخمسينات والستينات من القرن الماضي احتضنت القاهرة «دار التقريب» بين المذاهب الاسلامية، التي كانت اكبر مشروع للحوار والتقريب بين اتباع المذاهب الاسلامية في العصر الحديث. واستقبلت القاهرة علماء كبار من المسلمين الشيعة من بينهم السيد محمد تقي القمي، والشهيد نواب صفوي، في اطار الحوار الديني الذي تواصل على مدى اكثر من عقدين. ومصر هي التي أطلق مفتيها آنذاك، المرحوم الشيخ محمود شلتوت، فتواه الشهيرة بجواز التعبد بالمذهب الشيعي، والذي أطلق مفتيها الحالي، الشيخ محمد طنطاوي، هو الآخر، فتوى مشابهة. هذه المواقف لها قيمتها الحضارية لانها تتجاوز الاختلافات الفقهية وتؤكد المشتركات العقيدية الاساسية، وتعكس بذلك عمقا فكريا متميزا واستيعابا واقعيا لقيم الاسلام وتعليماته ورسالته. مصر هي التي يمثل مسجد الحسين قلب عاصمتها، وما يمثله ذلك المسجد من اداة تقريب وتآلف بين المسلمين، في الوقت الذي ترفض (مصر) فيه التطبيع مع الاسرائيليين، برغم السعي المتواصل من حكامها لفرض ذلك التطبيع. فهي تتحرك بدوافع وتوجيهات غريزية بعيدة عن التوجيه السياسي والمذهبي، لتسير على خط التقريب بين العرب والمسلمين، وتتعالى على محاولات التفتيت والتمزيق واضعاف الصف الواحد.

من هنا جاء رد الفعل الغاضب من جهة المسلمين الشيعة في الدول التي يمثلون فيها نسبة كبيرة من السكان، بعد ان شعروا بان تصريحات الرئيس مبارك اثارت شكوكا حول ولاءاتهم الوطنية، الامر الذي لا ينسجم مع ما يحملونه من مشاعر عميقة بالانتماء للامة الاسلامية عموما، ولأوطانهم بشكل خاص. صحيح انهم يشعرون بالقرب الفكري والمذهبي من ايران، ولكن ما يشدهم اليها هو ما يشد الجهات المناضلة في العالم العربي لها، من مواقف سياسية قوية ازاء السياسات الغربية الهادفة للهيمنة على شؤونها وخيراتها، وتوجهات ترفض الاعتراف بالاحتلال الاسرائيلي، وسياسات داعمة للجهات المجاهدة من اجل فلسطين. ولم يسجل التاريخ المعاصر حالات فاقعة لازدواجية الولاء في صفوف المسلمين الشيعة في البلدان العربية التي يمثلون فيها نسبة كبيرة كدول الخليج. ومن أوضح الامثلة على هذه الحقيقة تصويت المسلمين الشيعة في البحرين في 1970 لصالح قيام دولة عربية مستقلة تمارس الحكم على اساس التعاقد مع الشعب في اطار دستور تعاقدي يكتبه الطرفان. كان شاه ايران آنذاك يطالب بالبحرين، ويعتبرها جزءا من ايران بناء على فترات حكمهم لها في الماضي. قرر المواطنون في ذلك الاستفتاء التصويت لصالح استقلال بلدهم عن ايران، واقامة نظام دستوري عصري يحقق للعائلة الحاكمة وجودها السياسي، ويسمح للمواطنين بالشراكة السياسية الحقيقية. ومن غرائب الامور ان يطلق الرئيس الليبي في العام التالي (1971) تصريحا خطيرا يطالب بطرد المواطنين الشيعة من دول الخليج، وابعادهم الى ايران، معتبرا ان الشيعة ايرانيون. تلك التصريحات اثارت لغطا شديدا في المنطقة، واظهرت غياب التوازن والحكمة من خطاب بعض الزعماء. جاءت تصريحات القذافي بعد قرار الشاه السيطرة على ثلاث جزر في الخليج قريبة من الساحل الذي يضم المشيخات التي دخلت لاحقا في الاتحاد الاماراتي. هذه النزعة التشطيرية لدى بعض الزعماء يؤكد الحاجة لقيام أنظمة سياسية ديمقراطية تمثل شعوب المنطقة بشكل عادل، وتمنع التطرف، ايا كان مصدره او معتنقوه، من الهيمنة على البلدان والشعوب بصورة مطلقة.

وتتواصل أيام التاريخ، ليكشف مجددا مدى ولاء المواطنين من المسلمين الشيعة لاوطانهم. فخلال الاجتياح العراقي للكويت، بقي هؤلاء على ارضهم ولم يفروا منها، في الوقت الذي لاذ رموز العائلة الحاكمة بالفرار. كان باستطاعة الشيعة الكويتيين ان يقفوا مع الاجتياح، ويعبروا عن رغبتهم في الالتحاق بالعراق الذي تقطنه أغلبية شيعية، ولكن الشعور الوطني منعهم من ذلك. فشعورهم بالانتماء للامتين العربية والاسلامية يدفعهم للصمود في مواقعهم، ومواجهة اعداء امتهم بدون كلل او ملل. وقد وقف فقهاؤهم في قم والنجف بصلابة ازاء الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين، فأفتى فقهاؤهم مثل السيد محسن الحكيم والامام الخميني، بجواز دفع اموال الحقوق الشرعية للمقاومة الفلسطينية منذ الستينات، ولم تتغير تلك المواقف حتى اليوم. هذا في الوقت الذي اعادت فيه مصر والاردن علاقاتهما مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، وفتحت أبوابهما للسياح والتجار الاسرائيليين. يضاف الى ذلك ما جرى في جنوب لبنان ووقوف المسلمين الشيعة بشجاعة واستبسال ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية، حتى اليوم. وفي الوقت الذي اوقف الرئيس مبارك اي دعم للمقاومة الفلسطينية وأغلق الحدود المصرية بوجه من يرغب في مقاومة الاحتلال، كانت حدود الجنوب اللبناني مفتوحة امام عناصر المقاومة اللبنانية والفلسطينية، وليس سرا القول بان حزب الله الشيعي، المدعوم من ايران، هو الذي حقق اول انتصار حقيقي على قوات الاحتلال الصهيونية، وما يزال يدعم، ضمن الاطر المتاحة له، بقية اطراف المقاومة الفلسطينية، بدون الالتفات للخلافات المذهبية والانتماءات الطائفية. ولطالما تغنى شعراؤهم بالانتماء للعرب والاسلام، والدفاع عن فلسطين باعتبارها القضية الجوهرية في الصراع المحتدم بين الولايات المتحدة ومنطقة الشرق الاوسط.

اما في مصر مبارك فقد تعرض المسلمون الشيعة للتنكيل والاضطهاد، شأنهم شأن المناضلين الآخرين الذين طالما اكتظت بهم السجون بسبب مواقفهم ورفضهم الاستبداد والظلم. وها هم عناصر الاخوان المسلمين يقتادون بالعشرات الى السجون بدون سبب قانوني معقول. يقول الدكتور سعد الدين ابراهيم في مقال بعنوان: «اضطهاد الشيعة في عصر مبارك» نشره في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي «برغم تراث مصر الشيعي العريق إلا أن السلطات الأمنية المصرية يحلو لها أن تجعل من هذه المسألة الوجدانية العقيدية قضية «أمن دولة»، فتلقي القبض على المتحدثين أو النشطين من آل البيت، بتهمة الانتماء إلى تنظيم شيعي يهدف إلى قلب نظام الحكم. وكالعادة حينما يتم القبض على هؤلاء فهم يتعرضون للتعذيب والتنكيل، لكي يعترفوا أو يتوبوا وينيبوا عن معتقداتهم، وكأننا عدنا إلى عصر يزيد والحسين. فيا للجهالة، ويا للجاهلية!». وتقول منظمة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية: «ان ما يحدث اليوم هو تكرار لنمط بدأ مع أول حملة اعتقالات ضد الشيعة في مصر عام 1988 وتكرر في أربع حملات بعدها. كان هذا النمط يبدأ مع حملة عشوائية من القبض التعسفي على أفراد لا يجمع بينهم سوى انتمائهم للمذهب الشيعي، ثم تعذيبهم بكافة الأساليب في محاولة لانتزاع «اعترافات» قد تساعد على تكوين قضية، وبعدها تبدأ حملة التشهير الصحافي المصحوبة باتهامات العمالة للخارج وتهديد الأمن القومي، ثم تنتهي القضية ويطلق سراح المحتجزين دون إحالتهم للمحاكمة بعد أن يكونوا قد قضوا فترات من الاحتجاز قد تصل إلى ستة أشهر. حدث هذا لما لا يقل عن 124 مواطناً مصرياً ألقي القبض عليهم في الحملات الخمس الكبرى التي وقعت منذ عام 1988. ولا شك أن هذا الرقم لا يمثل العدد الحقيقي لمن ألقي القبض عليهم في هذه الفترة دون أن تحصل قضاياهم على نفس الاهتمام الإعلامي الذي حازته هذه الحملات الخمس».

لقد كان حريا بالرئيس مبارك القيام بعدد من الامور: اولها وقف الاضطهاد للمواطنين المصريين على اسس دينية او مذهبية او سياسية، وتحسين اوضاع حقوق الانسان عموما، وثانيها: وقف التحرش المتواصل بالاخوان المسلمين واطلاق سراح سجناء الرأي من هذه الجماعة وغيرها. ثالثها الانتقاد الصريح للاحتلال الاجنبي للعراق، ورابعها: تسليط الاضواء على الدور الاسرائيلي في هذا البلد العربي الكبير، وخامسها ان يقوم ـ مع بقية الحكام العرب ـ بكشف هذا الدور، واعتبار ذلك خطرا على الامن القومي العربي، وتهديدا لسيادة العراق وأمن شعبه. وسادسها وقف التطبيع مع العدو الاسرائيلي ومحاصرة نفوذه في مصر والمنطقة، وعدم اتاحة الفرصة له للتمدد والانتشار. سابعها رفع لواء التقارب بين المسلمين والعمل لتوحيد مواقفهم ومنع تصدع جبهتهم، والتعالي على الاختلافات الفقهية المذهبية، ومنعها من التأثير على تماسكهم ووحدة صفهم. اما التعرض للمسلمين الشيعة في ذلك البلد بالشكل الذي حدث فلا يخدم مصالح امتنا في شيء، بل يوجه الاوضاع نحو المزيد من التوتر والتشطير والطائفية والمذهبية. فهل هذا ما يسعى الرئيس مبارك لتحقيقه؟

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

بمناسبة بلوغ البعث التاسعة والخمسين

حكم البابا

■ لا أستطيع أن أؤكد أو أنفي ماإذا كان حزب البعث الذي احتفل بعيد ميلاده التاسع والخمسين قبل أيام هو الذي حكم العراق إلى ماقبل ثلاثة أعوام، ولا يزال يحكم سورية حتى اليوم، أم أن الذي تسلّم السلطة في سورية والعراق شقيقه (من خالته زوجة أبيه) ليرتكب ما ارتكب باسمه ويلصقه به، كما يحاول كثير من البعثيين التملص حين يوجه إليهم سؤال عما فعلوه بسورية والعراق؟!

ولكني أستطيع أن أؤكد أن شعارات البعث في سورية طبقت بالأسلوب الذي أجرى فيه بافلوف تجاربه على الفئران، ليثبت فيه نظريته حول رد الفعل الانعكاسي، بحيث صار السوري إذا مرّ في الشارع وسمع بالصدفة من رجل يمر بجواره كلمة «وحده»، ربما كان الرجل يقصد منها «وحده مره» (كما يقال بالدارجة السورية عن امرأة واحدة)، ينتفخ صدره بدون إرادته ويقف باستعداد صارخاً بأهداف البعث: وحدة حرية اشتراكية، ولو سمع أي سوري مسترخ على كنبته في بيته وهو يشاهد مسلسلاً تلفزيونياً تاريخياً ينادي فيه عبد الله غيث سهير المرشدي بأمة الله، فسيقفز من أربعته مردداً شعار البعث: أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة، ويعيش كل سوري لحظة قلق وجودي لايحسد عليها حين يرى في أية دائرة أو شركة يدخلها الغرفة التي كتب عليها (أمين الصندوق)، ويحتار حيرة قائد عسكري عليه أن يأخذ قراراً مصيرياً بالحرب أو بالسلم، كونه تعود على أن كلمة «الأمين» تستدعي بالضرورة كلمة «العام» المرتبطة بها، وهاتان الكلمتان تستدعيان بالضرورة أيضاً وبدون تفكير أن تقترب راحتا كفيه من بعضهما وتتباعدا عدة مرات، في حركة تسمى لغوياً: التصفيق.

والسوري مثلاً لايمكن أن يصدق أن الجريدة التي يقرأها سورية ما لم يقرأ فيها عبارات مثل (الهجمة الامبريالية الشرسة، التضامن العربي، تلازم المسارين)، حتى أن كثيراً من السوريين عانوا من أشكال عديدة من الانفصام النفسي، وراجعوا عيادات الطب النفسي بعد أن اختفت من إعلامهم عبارة (المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي الصديق) عقب سقوط هذه المنظومة وتهاوي رأسها الصديق.

ولايستطيع السوري أن يتأكد من كونه يعيش في سورية إذا مرّ قرب مدرسة ابتدائية ولم يسمع التصفيق الطلائعي، أو إذا فتح التلفزيون ولم يشاهد فتاه الأول نضال زغبور يقدم نشرة الأخبار بطريقة من يفتح فم طفله عنوة ويجبره على شرب ملعقة من دواء السعال المرّ، أو لو مرّ في أي شارع أيام 8 آذار (مارس)، و7 نيسان (أبريل) أو 16 تشرين الثاني (نوفمبر) ولم يشاهد لافتات قماشية من مختلف الألوان والأحجام توحي للغريب بأنه يمر في سوق للخياطين، ولهذا تشبه نظرة غير السوريين لسورية وأهلها من حيث مفاجآتها، دهشة من فتح علبة سردين حار للمرة الأولى في حياته، فوجد سمكاً مقطوع الرأس والزعانف مرصوصاً قرب بعضه البعض، وبينه قرن صغير من الفلفل الأحمر يتحكم في كل طعمه، وقطعة الفلفل هذه يسميها السوريون عادة المخابرات!

لم يقدم حزب البعث أو شقيقه (من خالته زوجة أبيه) الذي حكم باسمه لسورية انجازاً باستثناء الشعارات والمسيرات والمخابرات والعشوائيات السكنية (الـ86 والسومرية في المزة، وتشرين في القابون، وعش الورور في برزة) التي يعيش فيها عناصر ستة عشر فرعاً أمنياً مع عائلاتهم، وتحويل شوارع أقدم عاصمة لا تزال مأهولة في التاريخ إلى طرقات ريفية، تصلح لامتحان متانة أنواع السيارات، أو لإجراء دورات في الصاعقة للأفراد، أو لامداد عيادات معالجة الرضوض والكسور بالمصابين، أكثر مما تصلح للاستعمال الآدمي، وإذا كان لكل دولة في العالم فائض انتاج تصدره، فإن الانتاج السوري الوحيد الذي يمكن لسورية بعد تسع وخمسين سنة من حكم حزب البعث أو شقيقه (من خالته زوجة أبيه) الذي حكم باسمه أن تصدره هو المخابرات!

أليس من حق السوريين الذين قام مدرسوهم بمساهمة فاعلة في بناء نهضة دول الخليج أن يسألوا حزب البعث أو شقيقه (من خالته زوجة أبيه) الذي حكم باسمه، لماذا تستجدي اليوم سورية (التي لا حياة فيها إلاّ للتقدم والاشتراكية) الدول الخليجية (التي طالما وصفتها بالرجعية) لبناء فندق أو انشاء مجمع تجاري أو فتح أسواق وطرقات وأنفاق للقطارات السريعة؟

ولطالما عقدت مقارنة بيني وبين نفسي بين الحركة الصهيونية التي أنشأت في فلسطين كيانها الهجين عام 1948، الذي سبب رعباً لاثنتين وعشرين دولة عربية، وخسّرها كل الحروب التي خاضها ضدها، وبين حزب البعث الذي ولد في سورية عام 1947، وحكم هو أو حكم شقيقه (من خالته زوجة أبيه) باسمه، وخسر كل الحروب التي خاضها عسكرياً، وإن كان قد ربح بعضها تلفزيونياً وإذاعياً وخطابياً، ولم يفعل بالعراق سوى تسليمه مهشماً للأمريكان، وجعل سورية بعد كل خطابات التحرير والتوازن الاستراتيجي وصراع الوجود لا الحدود مع العدو الصهيوني تعتمد على استراتيجية الاتكال على الله في مواجهة الأخطار المحيطة بها باختيارها شعار (سورية الله حاميها)! ولطالما تساءلت كيف لم يفكر حزب البعث أو شقيقه (من خالته زوجة أبيه) الذي حكم باسمه، بتحقيق أهم أهدافه وهو تحرير فلسطين بنفسه بدلاً من اعتماده على عكازة حزب الله، والحل أمام بصره وفي متناول يده، وأقل كلفة من شراء الدبابات والطائرات، أو الدخول في مفاوضات، فيكفيه فتح فرع له في فلسطين المحتلة (غير الفرع الشهير للمخابرات العسكرية المسمى فرع فلسطين)، ونقل بعض مسؤوليه وشعاراته لتزول دولة اسرائيل العدوة من الوجود، وهو حل أثبت فاعليته في بلدين عربيين حتى الآن!

صورة طبق الأصل:

ـ إلى العميد الذي طلب مني اللواء علي مملوك مدير المخابرات السورية العامة باستشارته والحصول على موافقته عند رغبتي بكتابة أي مقال (حتى لو عن المازوت)!!

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:

مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:

عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ

فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN